الصلاة بين الحفظ

والإضاعة!!!!!

(الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم)أبو داود

إعداد

د. ناجي بن وقدان

المدينة النبوية

١٤٤١/٧/٢٣هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، أما بعد:

الصلاة عماد الدين وركنه الركين، من حفظها حَفِظ الدين ، ومن ضيعها ضيع الدين، حِفْظها غنيمة وتركها حسرة، بها تُحْفَظ الأعمال وبها تَتحَقق الآمال، آداءها نور في الوجه،وبركة في العمر،وثراء في المال،وشفاء من كل داء، وحماية من كل وباء، من حافظ عليها كانت له نوراً وبرهاناً ونجاةً يوم القيامة، عَظَّم الله شأنها في القرآن، وجعلها بين الكفر والإسلام فُرْقان، وأمر بالمحافظة عليها في أجمل بيان وأحكم برهان، فقال عز وجل(حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ) البقرة ٢٣٨ ،قال الإمام الطبري رحمه الله(أي واظبوا على الصلوات المكتوبات في أوقاتهن , وتعاهدوهن والزموهن)،وقال جل شأنه(وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) البقرة ١١٠ ،ومن إقامتها المحافظة عليها في أوقاتها جماعة مع المسلمين حيث ينادى بها،ومن إقامتها تأديتها كما بينها رسول الله صلى الله عليه وسلم، والرجال والنساءسواء في إقامتها وتأديتها، غير أن المرأة تصليها في بيتها وليست مأمورة بالخروج للمسجد كما حو الحال عند الرجال، وقال سبحانه(قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ) إبراهيم: ٣١ ،وقال تعالى(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ) الحج ٧٧ ، وقال عز وجل(وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) النور: ٥٦ ،إلى غير ذلك من الآيات التي تحث على المحافظة على هذه الشعيرة المباركة، وأما من السُنَّة الشريفة فقد جاءت الأحاديث الصحيحة التي تبين فضل المحافظة على الصلاة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال(الصلواتُ الخمس، والجُمُعة إلى الجمعة، كفَّارة لما بينهنَّ ما لم تُغشَ الكبائر) رواه مسلم ، وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله (مثَل الصلوات الخمس كمثَل نهر غَمْرٍ جارٍ على بابِ أحدِكم يغتسلُ منه كلَّ يومٍ خمسَ مراتٍ) رواه مسلم ،وعن أبي سعيدٍ الخُدري رضي الله عنه عن النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم قال: (إذا رأيتُم الرجلَ يعتاد المساجدَ، فاشهدوا له بالإيمان) رواه مسلم ، وعن عثمان بن عفان رضي

الله عنه قال:قال رسول الله صلى الله عليه وسلم(مَن تَوَضَّأَ لِلصَّلَاةِ فأسْبَغَ الوُضُوءَ، ثُمَّ مَشَى إلى الصَّلَاةِ المَكْتُوبَةِ، فَصَلَّاهَا مع النَّاسِ، أَوْ مع الجَمَاعَةِ، أَوْ في المَسْجِدِ غَفَرَ اللَّهُ له ذُنُوبَهُ) رواه مسلم ،وعن أبي هريرة رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قالَ (مَنْ تَطَهَّرَ في بَيْتِهِ، ثُمَّ مَضى إلى بيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ، لِيَقْضِيَ فَرِيضَةً مِنْ فَرائِضِ اللَّهِ، كانَتْ خُطُواتُهُ، إحْدَاها تَحُطُّ خَطِيئَةً، والأُخْرى تَرْفَعُ دَرَجَةً) رواه مسلم ، وَعنْ أَبي هُرَيْرةَ رضي الله عنه قَال: سمِعْتُ رسُول اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: (أَرأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهْرًا بِباب أَحَدِكم يغْتَسِلُ مِنْه كُلَّ يَوْمٍ خَمْس مرَّاتٍ، هلْ يبْقى مِنْ دَرَنِهِ شَيءٌ؟ قالُوا: لا يبْقَى مِنْ درنِهِ شَيْء، قَال: فذلكَ مَثَلُ الصَّلَواتِ الخَمْسِ، يمْحُو اللَّه بِهِنَّ الخطَايا) متفقٌ عَلَيْهِ ، إلى غير ذلك من الأحاديث النبوية التي تبين فضل الصلاة وأهميتها.

وقد بين السلف من الصحابة والتابعين، أهمية هذا الركن العظيم ، والمحافظة عليه، وأن نجاة المرء في الدنيا والآخرة لا تكون إلا به، فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: (مَن سرَّه أن يَلقى اللهَ غدًا مسلمًا، فليُحافِظ على هؤلاء الصَّلوات حيث ينادى بهنَّ)، وقال سعيد بن المسيَّب: "ما أذَّن مؤذِّن منذ عشرين سنة إلَّا وأنا في المسجد"وقال ابن عباس رضي الله عنهما: "مَن سَمع المنادي فلم يجِب، لم يرِدْ خيرًا، ولم يُرَد به خير"،وقال مسروق (لا يحافظ أحد على الصلوات الخمس، فيكتب من الغافلين، وفي إفراطهن الهلكة، وإفراطهن: إضاعتهن عن وقتهن)، وقال أبو هريرة رضي الله عنه(لأَن تُملأ أذن ابن آدم رصاصًا مذابًا خير له من أن يَسمع النداء ثمَّ لا يجيب)،وروي أن ميمون بن مِهران أتى المسجدَ، فقيل له إنَّ الناس قد انصرفوا، فقال(إنَّا لله وإنا إليه راجعون؛ لَفضل هذه الصلاة أحبُّ إليَّ من ولاية العراق)،وروي أنَّ السَّلَف كانوا يُعَزُّون أنفسَهم ثلاثة أيام(إذا فاتَتهم التكبيرة الأولى، ويعزُّون سبعًا إذا فاتَتهم الجماعة).

فحري بكل مسلم أن يقدر للصلاة قدرها،وأن يُعَظم من شأنها،وألا يتفَرّط فيها جماعة مع المسلمين،فبها يحيا وبها يسعد وبها يسود ،وبها يلقى الله وهو عنه راض.

وقد حذر الله من إضاعتها، لأن في ضياعها ضياع للدين،وبطلان للعمل، وبتضييعها تشتد غربة الدين، وقد رأينا في هذه الأزمنة ما يشيب له الرأس،ويتفطر له القلب من إضاعة لها وتهاون في آداءها، من قِبَل فئام من المسلمين،وصارت عندهم من جملة الأمور الثانوية تؤدى كيفما تكون،ولذلك بين الله حالهم، وكشف شأنهم، فقال عز وجل(فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا) مريم ٥٩ ، قال ابن كثير رحمه الله(أضاعوها

فهم لما سواها من الواجبات أضيع لأنها عماد الدين وقوامه ، وخير أعمال العباد ، وأقبلوا على شهوات الدنيا وملاذها ، ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها ، فهؤلاء سيلقون غيا ، أي خسارا يوم القيامة) ، وقال الحسن البصري رحمه الله (عطلوا المساجد ، ولزموا الضيعات)، وقال ابن مسعود وإبراهيم(أَخَّرُوها عن وقتها)، وقال سعيد بن المسيب (هو ألَّا يُصلي الظهر حتى يأتي العصر، ولا العصر حتى تغرب الشمس)، وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه (فسوف يلقون غيا) قال(واد في جهنم ، بعيد القعر ، خبيث الطعم) وقال أبي عياض في قوله (فسوف يلقون غيا) قال (واد في جهنم من قيح ودم) ، وهؤلاء الخَلْفُ قد كثروا في هذه الأزمنة واشتغلوا بالملهيات وانغمسوا فيها من شهوات الدنيا ووسائل التواصل الحديثة والمواقع والقنوات الفضائية،فترى أحدهم يؤذن المؤذن وجهاز التواصل في يده فلا يردد الأذان وتقام الصلاة وتنتهي وهو لا زال مكبا عل جهازه، لا يُرْعَوَن صلاة تقام ولا قرآن يتلى،وهذا أنموذجا واحدا من العشرات والمئات ممن ألهتهم هذه الصوارف وغيرها عن دين الله وطاعته، فهم من توعدهم الله بذلك الوادي من جهنم الذي لو سيرت فيه جبال الدنيا لذابت من شدة حره.

وفي الجانب الآخر، يأتي الوعيد بطريق آخر لا تقل شناعة عن الوعيد السابق وهو قول الله عز وجل(فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ) قال الإمام ابن باز رحمه الله(السهو عن الصلاة: هو الغفلة عنها والتهاون بشأنها، وليس المراد تركها لأن الترك كفر أكبر وإن لم يجحد وجوبها –في أصح قولي العلماء، أما التساهل عنها فهو التهاون ببعض ما أوجب الله فيها؛ كالتأخر عن أدائها في الجماعة –في أصح قولي العلماء– وهذا فيه الوعيد المذكور)، ويقول عطاء بن دينار رحمه الله(والحمد لله الذي قال: عَنْ صَلاتِهِمْ سَاهُونَ. ولم يقل: في صلاتهم ساهون) وهذا صحيح لو قال (في صلاتهم) لكان الكل داخل في هذا الوعيد حتى المحافظين عليها، لأن السهو في الصلاة يعتري الكل مهما حرص، لكن الله بفضله عنى بها الذين هم عنها ساهون.

وفي قوله عز وجل عند سؤال المؤمنين للمجرمين في نار جهنم(ما سلككم في سقر قالوا لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين وكنا نخوض مع الخائضين وكنا نكذب بيوم الدين حتى أتانا اليقين) المدثر ٤٢ ، فكان جوابهم أنهم لم يكونوا من المصلين(أي من أهل الصلاة) ، ولم يكونوا يطعموا المسكين ، وكانوا يخوضون مع الخائضين . وكانوا يكذبون بيوم الدين ، فجمعوا بهذا

بين الكفر بتكذيبهم بيوم الدين وبين الفروع ، وهي ترك الصلاة والزكاة المعبر عنها بإطعام المسكين إلى آخره، فترك الصلاة والتهاون فيها أمر موجب للنار نسأل الله السلامة.

وحذر النبي صلى الله عليه وسلم من تركها والتهاون في شأنها،ورتب على ذلك نتائج وعقوبات وخيمة، فعن بريدة بن حصيب رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال (العهْد الذي بيْننا وبيْنهم الصلاة، فمَن تَرَكَها فقد كفَر) رواه أحمد ، وعن جابر بن عبدالله الأنصاري رضي الله عنه وعن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال(بين الرجل وبين الكفر والشرك ترك الصلاة) رواه مسلم ، وأُثِر عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال(لا حظَّ في الإسلام لمن ترَك الصلاة) السنن الكبرى للبيهقي، وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم قال(مَن تَرَكَ صلاةً مكتوبةً متعمِّدًا، فقد برئتْ منه ذمَّة الله) رواه الإمام أحمد ، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم (لقد هَمَمْتُ أنْ آمُر بالصلاة فتُقام، ثم آمُر رجلًا فيُصلِّي بالناس، ثم أَنطلقُ معي برجال معهم حُزَمٌ مِن حطب إلى قوم لا يَشهدون الصلاة، فأحرق عليهم بيوتهم بالنار)، وفي رواية (لولا ما فيها مِن النساء والذُّرِّيَّة لأَحرقْتُها عليهم) متفق عليه ،وعن ابن أم مكتوم رضي الله عنه قال: استأذنتُ رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم أنْ أُصلِّي في بيتي فقال (هل تسمع النِّداء بالصلاة؟)، فقلتُ: نعم، قال عليه الصلاة والسلام (أَجِبْ، لا أجد لك رخصة) رواه أبو داود وصححه الألباني ،وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم (مَن سمع النداء فلم يأتِ فلا صلاة له، إلَّا مِن عُذر) رواه ابن ماجة ، وأخرَج الحاكمُ في "مستدركه" عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم(ثلاثة لَعَنَهم اللهُ: مَن تقدَّم قومًا وهم له كارهون، وامرأة باتتْ وزوجُها عليها ساخط، ورجُل سمع: حيَّ على الصلاة، حي على الفلاح، ثم لم يُجب) حديث فيه ضعف لكن له شواهد أخرى تعاضده، وحديث (من سمع النداء فلم يأت فلا صلاة له إلا من عذر) رواه ابن ماجه وصححه الألباني ،وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم: (مَن سمع النداء فلم يمنعه مِن اتباعه عذر)، قالوا: وما العُذر؟ قال: (خوف أو مرَض – لَمْ تُقْبَل منه الصلاة التي صلَّى) رواه أبو داود، وابن حبان في صحيحه، وابن ماجه.

وعن معاذ بن أنس رضي الله عنه عن رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم أنه قال (الجفاء والكفر والنِّفاق مَن سَمِعَ منادِيَ الله يُنادي إلى الصلاة فلا يُجيبه) رواه أحمد، والطبراني، وفي رواية للطبراني

قال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم(بحسْبِ المؤمن منَ الشَّقاء والخيبة أن يَسْمَع المؤذن يثوِّب بالصلاة فلا يُجيبه)، وقال عليه الصلاة والسلام(من لم يحافظ عليها(أي الصلاة) لم تكن له نورٌ ولا برهان ولا نجاة، وكان يوم القيامة مع فرعون وهامان وقارون وأبي بن خلف) رواه أحمد.

وترك الصلاة والتهاون فيها وآداءها مع الجماعة في المساجد وحيثما تقام، له عواقب وخيمة ومن ذلك :

أولا: أن ذلك باب من أبواب النفاق،قال الإمام ابن باز رحمه الله(التهاون بالصلاة من المنكرات العظيمة، ومن صفات المنافقين؛ قال الله –عز وجل{إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا} [النساء: ١٤٢]، وقال تعالى في صفتهم{وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ} [التوبة: ٥٤]، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: (أثقل الصلاة على المنافقين صلاة العشاء وصلاة الفجر، ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما ولو حبوا) متفق على صحته ،فمن ترك بعض الصلوات عمدا فهو واقع في النفاق العملي. وعن العلاء بن عبد الرحمن أنه دخل على أنس بن مالك في داره بالبصرة حين انصرف من الظهر، وداره بجنْب المسجد، فلما دخلنا عليه قال: أصليتم العصر؟ فقلنا له: إنما انصرفنا الساعةَ من الظهر. قال: فصلوا العصر. فقمنا فصلينا، فلما انصرفنا قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول(تلك صلاة المنافق؛ يجلس يَرْقبُ الشمس حتى إذا كانت بين قرني الشيطان، قام فنقرَها أربعا، لا يذكرُ الله فيها إلا قليلا) ،وقال ابن مسعود رضي الله عنه(ولقد رأيتنا وما يتخلّف عنها(أي الصلاة) إلّا منافق معلومُ النّفاق)، وعن أسامة بن زيد رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم (من ترك ثلاث جمعات مِنْ غير عُذر كتِبَ من المنافقين) أخرجه الطبراني وصححه الألباني.

ثانيا: ترك الصلاة وتضييعها باب من أبواب العقوبات والرزايا ،فما ضيع قوم صلاتهم وتهاونوا في آدائها واستهزأوا واستخفوا بها إلا فُتح عليهم باب الشرور وأصابهم الله بالنقم والعقوبات والأوبئة والأمراض والمجاعات، قال ابن القيم رحمه الله ومن عقوبات التهاون في الصلاة(أنها تزيل النعم الحاضرة، وتقطع النعم الواصلة، فتزيل الحاصل، وتمنع الواصل، فإن نعم الله ما حفظ موجودها بمثل طاعته، ولا استجلب مفقودها بمثل طاعته، فإن ما عند الله لا ينال إلا بطاعته)

وقال أيضا(ومن عقوباتها سقوط الجاه، والمنزلة، والكرامة عند الله، وعند خلقه، فإن أكرم الخلق عند الله أتقاهم، وأقربهم منه منزلة، أطوعهم له، وعلى قدر طاعة العبد، تكون له منزلة عنده، فإذا عصاه، وخالف أمره، سقط من عينه، فأسقطه من قلوب عباده، ولحقه سوء الخاتمة، والمعيشة الضنك؛ لعموم قوله تعالى: (وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى) {طه:١٢٤}، وهاهي الأمة اليوم تتجرع مرارة الذنوب والمعاصي ومنها ترك الصلوات واتباع الشهوات، وليس لها الخلاص مما هي فيه إلا بتوبة خالصة ورجوع إى الله عز وجل.

فحري بكل مسلم يرجوا الله والدار الآخرة، أن يهتم بأمر الصلاة ويعظم من شأنها، فإنها لا سلامة له ولأعماله في الدنيا والآخرة إلا بسلامتها وحفظها، وأن يأمر أهله وأبناءه وخدمه بها كما قال عز وجل(وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ) طه (١٣٢) ، نسأل الله تعالى أن يحظ لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا، ويوفقنا جميعا لتوبة صادقة، وأوبة خالصة، وخاتمة حسنة. وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

* بالنشر يُنَال الأجر.